بحث بعنوان

المبادئ الحربية في سورة الأنفال

إعداد الطالب

سالم محمد سالم باهرمز

الرقم المرجعي : **ADM10AH273**

إشراف الدكتور : خالد نبوي سليمان حجاج

نائب الوكيل المساعد للشئون الأكاديمية للتعليم عن بعد

نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة المدينة العالمية

للعام الجامعي (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)

V

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد إلا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، قائد المجاهدين، وإمام الغر المحجلين.

أما بعد :

لقد تناولت سورة الأنفال – مثل غالبية سور القرآن الكريم – موضوعاتٍ مختلفة، إلا أنك تجد أن العصب الفكري للسورة يحوم على مفهوم (الجهاد)، وبخاصة الجانب العسكري منه، ولعل من يتلو السورة يلاحظ ذلك جلياً أثناء السورة، سواء في بدايتها أو في نهايتها مروراً بوسطها – حيث تبدأ السورة بتأصيل أحكام الأنفال، وتختتم بسمات المجاهدين، وينتظم وسطها رسمٌ للمعارك وحثٌ على الجهاد وصياغة لبعض مبادئه – لعل بداية السورة ووسطها ونهايتها بالنحو الذي أشرنا إليه تدلّنا إجمالاً على فكرتها المتصلة بالجهاد.

وفي ظلِّ هذا العالم الذي يَجتاحه عدد من الحروب والثورات في بقاعٍ وأنحاءٍ شتَّى، وأمام الحرب الضَّروس التي يُقاسي ويلاتها العالَم كلُّه، وخصوصًا بُلدان العالم العربي والإسلامي؛ حيث تُشَنُّ الحروب ضد الإسلام وأهله – تولَّد هاجس البحث عن مبادئ وقيم الحرب في الإسلام، كخُطوة على الطريق؛ من أجْل إظهار حقيقة الإسلام فيما يخص الحروب وبموضوعية تامة؛ لتوضيح مدى تمسُّك المسلمين بالقِيَم الحربيَّة قبل المعركة وفي أثنائها، وبعد أن تضعَ الحرب أوزارَها.

إن استكشاف نظريات الإسلام والعلاقات الدولية لا بد من أن يقوم على معرفة السياسة الحربية التي تسير عليها أية أمة، وإن من التخدير للعقول؛ أن نتكلم عن ديانة أو حضارة وُجدت وسادت ولم يكن في تاريخها استعمال الحرب في غالب الأحيان، لكن يبقى أن التميز في كيفية هذه الحروب، وفي مدى توافق البُعد الأخلاقي النظري مع التطبيق الحربي الواقعي.

وإنه لمن المؤسف أن ترى الكثير ممن تعارفوا على جملة من المبادئ الحربية، قد وصل الحال ببعضهم أن زعموا أنها من بنات أفكارهم، لكن عند الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المفسرة له، نجد هذه المبادئ مقررة ومطبقة.

لذا سيتناول الباحث في ضوء سورة الأنفال، ثم في ضوء بعض الآيات المتفرقة، بعض الآيات المقررة لهذه المبادئ والمتضمنة للإرشادات العسكرية، وسيحاول الباحث ربطها بالسيرة العسكرية للقادة الأوائل رضوان الله عليهم أجمعين.

أهداف البحث :

ويهدف هذا البحث إلى :

١- السعي لنيل رضا الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً .

٢- التأصيل القرآني لأصول ومبادئ الحرب من خلال ما ورد في سورة الأنفال.

٣- الاستفادة من أصول ومبادئ الحرب التي قدمها القرآن، وإبرازها في تفسير موضوعي يجمع شملها، ويؤلف شتاتها، مع توظيفها في واقعنا الجهادي المعاصر.

٤- الارتقاء بجهاد أمتنا على الصعيد الفلسطيني بخاصة وأمتنا المسلمة عامة نحو المثالية التي يريدها الإسلام.

مشكلة البحث:

يُمكن تحديد المشكلة الأساسية للبحث، والتي يسعى البحثُ لأن يُقدِّمَ لها حلاً علميًّا في الاستفهام التالي: ما هي مبادئ الحرب في الإسلام؟ وكيف يُمكن إبرازُ ما تتميز به، من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسيرة النبوية العسكرية؟

منهج البحث :

أما عن المنهج فقد استفدت من معظم المناهج المعتمدة في البحوث العلمية فأخذت بالمنهج التاريخي في تطبيق المبادئ الحربية على مدى عدة قرون.

كما استفدت من المنهج الفني في الكشف عن الصورة الجمالية لقادة الإسلام وطريقة تعاطيهم مع الحرب والمحاربين.

وأخيراً استثمرت المنهج التحليلي في دراسة ضوابط ومقاصد الحرب في الإسلام ومناقشة بعض المفاهيم.

أهمية الموضوع:

تأتي أهميَّة هذه الدراسة في أنها تسعى لإبراز فلسفة الحرب في الإسلام، وإبراز المبادئ الحربيَّة الإسلاميَّة، مع الإشارة إلى أنَّ الحرب في الإسلام حربٌ تسعى لرحمة البشرية، واحترام الكرامة الإنسانيَّة، باعتبار أنَّ الإنسان هو بُنيان الله في الأرض، وأنَّ النفس البشريَّة هي أشرف النُّفوس على الإطلاق.

وكذلك تتجلى أهمية الموضوع وتنصب فيما تحتاجه أمتنا المعاصرة إلى الجهاد القويم الخالص لوجه الله تعالى، الذي يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والقائم على أصول ومبادئ الحرب المنبثقة عنهما.

حيث أنه من المهم أن تنحو الدراسات المعاصرة إلى ابتكار طرائق جديدة في سبيل بيان مفهوم الإسلام للسلام والحرب، وألا نكتفي بالموقف الدفاعي المعهود في كتاباتنا.

ولعلَّ القيمة الحقيقة لهذا البحث، أنه محاولةٌ لإبراز عَظَمة الإسلام وشموليَّته لمناحٍ شتَّى من الحياة – سلمًا وحربًا – وإبراز لدَور المبادئ وأهميَّتها في حماية الإنسان والحياة، وذلك باعتبار أنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو بيت القصيد في كلِّ الفلسفات قديمًا وحديثًا.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد توفرت عدة دوافع حدت بالباحث إلى اختيار هذا الموضوع :

أهمها : ما تمر به أمتنا المسلمة من مرحلة عصيبة تتجرع فيها أشد أنواع الأسى والاضطهاد، وتتلقى أوجع الطعنات من أعدائها في الداخل والخارج.

الدافع الثاني : بيان المنهج النبوي في التعامل مع الأعداء حال الحرب وبعدها.

الدافع الثالث : حاجة المجاهدين في سبيل الله إلى أن تكون عندهم ضوابط واضحة وقواعد عامة في التعامل مع الحرب وفقه أولوياتها ومعرفة مبادئها والتعاطي معها وفق منهج صحيح.

الدافع الرابع : الخوف من الآثار السيئة المترتبة على ما نلمسه من افتيات على أصول وضوابط ومبادئ وأخلاقيات الحرب في واقع بعض الحركات الجهادية.

الدافع الخامس : عدم الاهتمام من قبل الدارسين بمبادئ الحرب في الإسلام حيث إن كتابات المسلمين عن الحروب الإسلاميَّة كثيرة، ولكنَّ كتاباتهم عن مبادئ الحرب ومكارم الأخلاق الحربيَّة في الإسلام ليستْ على القدر الكافي.

الدافع السادس : أنَّ الكثير من الدارسين الذين تناوَلوا فكرة الحرب في الإسلام، تناوَلوها من وجهة نظر تاريخيَّة بَحْتة، ولَم يُفصِّلوا الحديث حول مبادئها العظيمة وقِيَمها السامية في أبحاث مُنفردة.

صعوبات البحث :

واجه الباحث عند رقمه لهذا البحث عدداً من الصعوبات، حيث أجملها فيما يلي:

١. قلَّة المادة العلميَّة المُتخصِّصة في هذا الجانب، والتي تَخدم موضوع البحث خدمةً مباشرة.
٢. نُدرة الدراسات العلميَّة المُستفيضة التي تناوَلت هذا الموضوع، جعل من الصعب على الباحث الإحاطة بكل قضية فيه.
٣. أن هذا الموضوع حساس جداً لتعلقه بتقرير مبادئ ربما تقرر مصير الحرب ونهايتها بالإيجاب أو السلب.

تقسيمات البحث :

المبحث الأول:

مبادئ الحرب الإسلامية.. المفهوم والمصدر والمميزات.

* المطلب الأول : مفهوم مبدأ الحرب الإسلامي.

* المطلب الثاني : لمحة موجزة عن أقسام الحروب.

* المطلب الثالث : مصادر تحديد مبادئ الحرب الإسلامية.

* المطلب الرابع : السمات الإسلامية الخاصة والمميزة لبعض المبادئ.

المبحث الثاني:

تحديد مبادئ الحرب من الأدلة القرآنية.

* المطلب الأول : المبادئ الحربية في ضوء سورة الأنفال.

* المطلب الثاني : المبادئ الحربية في سور القرآن الكريم.

المبحث الثالث:

تطبيق مبادئ الحرب في السيرة النبوية العسكرية والفتوحات الإسلامية.

* المطلب الأول : تطبيقها في سيرة القائد الأعلى ﷺ.

* المطلب الثاني : تطبيقها في عصر الفتوحات الإسلامية (اليرموك – القادسية).

خاتمة تتضمن ذكراً لأهم نتائج البحث

المبحث الأول : مبادئ الحرب الإسلامية.. المفهوم والمصدر والمميزات.

المطلب الأول : مفهوم مبدأ الحرب الإسلامي.

أولاً : تعريف مبادئ.

(بَدَأَ) الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالْهَمْزَةُ مِن افْتِتَاحِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَدَأْتُ بِالْأَمْرِ وَابْتَدَأْتُ، مِنَ الِابْتِدَاءِ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُبْدِئُ وَالْبَادِئُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [1]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [2] [3].

والمبدأ : اسمُ ظرْفٍ مِن "بَدَأَ"، ويُجْمع على "مبادئ"، و هو في الأصْل مكان البداءة في الشيء، أو زمانه، فمبدأُ الشيء: أوَّلُه، ومادته التي يتكوَّن منها، كالطِّين مبدأُ الإنسان؛ كما قال تعالى ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [4] أو مادته التي يتركَّب منها، كما نقول: الحروف مبدأُ الكلام، ومبادئ العلم، أو الخُلق، أو الدستور، أو القانون: قواعدُه الأساسية التي يقومُ عليها، ولا يخرج عنها.

***

ثانياً : تعريف الحرب.

(حَرَبَ) الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا السَّلْبُ، وَالْآخَرُ دُوَيْبَّةٌ، وَالثَّالِثُ بَعْضُ الْمَجَالِسِ.

---

[1] سورة البروج، الآية: ١٣.
[2] سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
[3] زكريا، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة** تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ط دار الفكر ٢١٢/١.
[4] سورة السجدة، الآية: ٧.

فَالْأَوَّلُ: الْحَرْبُ، وَاشْتِقَاقُهَا مِنَ الْحَرَبِ وَهُوَ السَّلْبُ. يُقَالُ حَرَبْتُهُ مَالَهُ، وَقَدْ حُرِبَ مَالَهُ، أَيْ سُلِبَهُ، وَأَمَّا الدُّوَيْبَّةُ [فَ] الْحِرْبَاءُ. يُقَالُ أَرْضٌ مُحَرْبِئَةٌ، إِذَا كَثُرَ حِرْبَاؤُهَا. وَبِهَا شُبِّهَ الْحِرْبَاءُ، وَهِيَ مَسَامِيرُ الدُّرُوعِ. وَكَذَلِكَ حَرَابِيُّ الْمَتْنِ، وَهِيَ لَحَمَاتُهُ.

وَالثَّالِثُ: الْمِحْرَابُ، وَهُوَ صَدْرُ الْمَجْلِسِ، وَالْجَمْعُ مَحَارِيبُ. وَيَقُولُونَ: الْمِحْرَابُ الْغُرْفَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾[1] .

وَقَالَ: رَبَّةُ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا ... لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا[2]

ويمكن أن يقال بأن الحرب هي: نزاع مسلح تبادلي بين دولتين أو طائفتين أو فئتين وبالجملة بين معسكرين من الكيانات غير المنسجمة، باستخدام مجموعات مسلحة منظمة تسمى جيوشاً نظامية وأحياناً جماعات شبه نظامية – ميليشات –،وتستخدم القوة المسلحة كل الوسائل لإلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر في الحرب سواء في قدراته العسكرية أو مقدراته المدنية ويتم ذلك عن طريق التدمير المنظم والمخطط بالاستعانة بمعلومات عسكرية عن الطرف الآخر تجمعها أجهزة الاستخبارات والاستطلاع العسكرية، وتستخدم القوات المسلحة هذه المعلومات للقيام بعمليات عسكرية منظمة للاعتداء على الطرف الآخر. وذلك لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية أو آيدلوجية أو لأغراضٍ توسعيّة، وهي عادة آخر الأوراق بيد السياسة.

***

[1] سورة مريم، الآية: ١١.
[2] المرجع السابق ٤٨/٢.

ثالثا: تعريف مبدأ الحرب الإسلامي:

هو حكم عملي ملزم، يعمل مفعوله على إنجاح المهمة ووقايتها من الفشل، ومجمل مفعول المبادئ، يعمل على إيجاد وحفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات اللازمة لتحضير وإدارة العمليات والمعارك، وإنجاز أهدافها بنجاح على أتم وأفضل وجه.

وعرف مبادئ الحرب اللواء محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد بأنها : هي الجوهر الذي ينشئ في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب، وهي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في أعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة.

ومبادئ الحرب: هي مبادئ ثابتة لا تتغير أبدا، وهي الأسس القديمة التي ترتكز عليها الحروب في كل زمان ومكان.[1]

***

[1] خطاب، محمود شيت، **الرسول القائد** ط ٦ دار الفكر ٤٤٨/١

المطلب الثاني : لمحة موجزة عن أقسام الحروب.

تنقسم الحروب من ناحية القوة العسكرية والبشرية إلى :

١–حروب نظامية .

٢–حروب الدمار الشامل .

٣–حروب باردة .

٤–حروب غير نظامية .

أولاً : الحروب النظامية : هي التي تُستخدم فيها جميع الأسلحة ما عدا أسلحة الدمار الشامل، وتكون بين جيشين نظاميين .

ثانياً : حروب الدمار الشامل : وهي التي تُستخدم فيها الأسلحة غير التقليدية (أسلحة الدمار الشامل، كالأسلحة البيولوجية والنووية) ويُعتبر هذا النوع من الحروب مستبعد الوقوع لأنها تؤدي إلى دمار شامل يقضي على جميع صور الحياة .

ثالثاً : الحروب الباردة : وهي التي لا يكون فيها التحام مباشر بين الطرفين .

رابـــعاً : غير النظامية (حرب العصابات) : ولها تعريفان..

التعريف الأول : حرب ثورية، والثوار هم مجموعة من السكان المحليين تعارض منهج الحكومة وفكرها وشرعيتها، كانت محلية أو مغتصبة أجنبية.

التعريف الثاني : حرب بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات من قِبَل طرف فقير ضعيف ضد خصم قوي يتفوق عليه في العدة والعتاد.

وتسمى بحرب العصابات أو (حرب البرغوث والكلب)، فالبرغوث دائماً يلسع والكلب ويُحْدِث به جروحاً ويهرب، فيقوم الكلب بعض نفسه وهرش جلده، ثم يعود إليه البرغوث ويلسعه مرة أخرى، وهكذا دواليك حتى يفقد توازنه وينهكه ويقتله .

***

المطلب الثالث : مصادر تحديد مبادئ الحرب الإسلامية.

أ. إن نصوص آيات القرآن هي المصدر الأول لتحديد مبادئ الحرب الإسلامية الأساسية، ونصوص الأحاديث النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني لتحديد هذه المبادئ، خاصة فيما لم يرد في شأنه نص قرآني.

ب. الإجماع والقياس وما إليهما من أدلة شرعية هي مصدر تطوير وتحديث قائمة مبادئ الحرب الإسلامية، وهي مصدر استنباط المبادئ، التي لم يرد في شأنها نصوص صريحة اللفظ أو المعنى.

***

المطلب الرابع : السمات الخاصة للعسكرية الإسلامية.

١ – قِدَم المذهب العسكري الإسلامي وأصالته: فقد ظهر المذهب العسكري منذ بداية الفتوح قبل أربعة عشر قرن، واستمر في تطوره حتى الأزمنة الحديثة، دونما انقطاع.

٢ – تنوع التجارب القتالية: فقد عرف المذهب العسكري عبر استمراره وتطوره جميع أنواع الحروب: النظامية والأهلية والثورية.

٣ – الاعتماد على مبادئ الحرب: لقد اعتمد المذهب العسكري الإسلامي منذ نشأته الأولى وخلال مراحل تطوره على مبادئ الحرب وفقا لما تمت صياغتها والتعبير عنها في الأزمنة الحديثة. وقد يكون من المثير ملاحظة أن لكل مبدأ من تلك المبادئ جذوره العميقة في معظم التجارب القتالية التي خاضها المسلمون: فالمباغتة والمبادأة، واستخدام القدرة الحركية للهجوم والمناورة، وحماية المؤخرات، وأمن القوات، والحرص على الإمداد تبرز جميعها واضحة خلال عمليات الفتح الأولى، كما تظهر تطوراتها عبر مسيرة الأعمال القتالية خلال كل مراحل التاريخ.

٤ – ومما تتميز به العسكرية الإسلامية أيضا الإنسانية:

أنسنة الحرب – مصطلح استخدم في الأدبيات العسكرية، بمعنى: مراعاة العامل الإنساني في الحروب بما يخفف من آثارها التدميرية، ويتجنبها قدر الإمكان – ومن تلك المبادئ الإسلامية في أنسنة الحروب:

أ– الإنذار قبل القتال:

أدرك النبي ما للحروب من آثار تدميرية، فأوجب على المسلمين عدم قطع سبل تجنبها مهما كانت قوتهم، وضمانهم النصر على الأعداء، ومن هذه السبل: دعوة العدو وإنذاره قبل القتال؛ وفي الإنذار تخيير للعدو بين القبول بمطالب المسلمين أو القتال، فإن لم تُلَبَّ كانت الحربُ وقد حرص المسلمون على هذا المبدأ الإنساني حرصاً قوياً، وحافظوا

على الوفاء به في كل قتالهم؛ بل صار شعاراً لهم؛ فكان نضالهم من أجل المبادئ السامية التي جاء بها الإسلام؛ فحققوا الانتصارات المتتالية والكبيرة؛ مصرِّين في كل مرة على دعوة الأعداء إلى السلام وتجنب الحرب، بالدخول في الإسلام، أو الخضوع لسلطان المسلمين، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

ب- معاملة الأسرى:

منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم فشلت الجهود الدولية في وضع أسس يتم تطبيقها في مجال معاملة الأسرى؛ فبقيت معاهدات لندن وجنيف حبراً على ورق، والحروب المعاصرة تكشف عن مجازر مهولة يتم ارتكابها بحق الأسرى، ومثالنا القريب: المقابر الجماعية التي تم الكشف عنها في البوسنة لآلاف المسلمين الذين أسرتهم القوات الصربية؛ وأغلبهم من المدنيين، ثم قامت بقتلهم بعد تعذيبهم بدون رحمة، وهكذا في كوسوفا، والشيشان، وأفغانستان، وفلسطين وغيرها، بينما يتفق المستشرقون المنصفون، والعلماء العسكريون على أن النبي كان أول من وضع أسساً إنسانية واضحة في معاملة الأسرى؛ فقد قبل الفداء من أسرى بدر؛ فمن لم يملك المال جعل فداءه أن يعلم عشرة من غلمان المسلمين، وفدى الأسيرين اللذين أُسِرَا في سرية عبدالله بن جحش.

لقد عامل الرسول الأسرى معاملة فيها رفق، وشفقة، وعناية، وإنسانية، وأوصى بهم خيراً، وعفا عنهم حين ظفر بهم، وأرخى وثاق أحدهم حين سمع أنينه، وكان نتيجة هذه المعاملة أن دخل أغلبهم في الإسلام؛ رغبة منهم في هذا الدين الجديد. ولقد حَضَّ القرآن الكريم على إطعام الأسير، وأوصى الرسول على إطعامه، فآثر المسلمون الأسرى على أنفسهم في الأكل، فكان عزيز بن عمير وهو أسير يأكل أطايب الطعام، أما الذين أسروه فيأكلون التمر وما تبقى، وكذلك فإن الأسير كان يُكسى الكساء المناسب؛ إذ أعطى النبي العباس قميصاً، وأعطى سفانة بنت حاتم الطائي كسوة ونفقة، ومنَّ عليها.

ج- الوفاء بالعهود:

ضمن منهجه العسكري الذي سعى إلى أنسنة الحروب ركز النبي على ضرورة احترام العهود والمواثيق؛ لما لهذا الاحترام من دور كبير في المحافظة على السلام وأهميته في فض المنازعات، وحل المشكلات، وتسوية الخلافات، وحقن الدماء، وما احترام العهود والمواثيق، والوفاء بها، وتحريم الغدر والخيانة إلا من أحكام الإسلام القطعية النافذة على الأفراد والجماعات، فقد أمر الله تعالى بها، فقال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[1]، وقال ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[2].

وقد عد الله سبحانه من صفات المؤمنين: رعاية العهد، فقال سبحانه ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[3]. وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾[4].

وقال النبي: "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؛ من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان".

وبذلك كان شرط الوفاء بالعهد من الدعائم الأولى التي حافظت على كيان المسلمين وهيبتهم، وأدام لهم عزّتهم؛ وليس هناك من قانون في الدنيا يجعل احترام العهد نابعاً من الإيمان والعقيدة مثل الإسلام، هذه التعاليم والأوامر حول الوفاء بالعهود التي طبقه، وأمر بها الرسول جعلت الثقة بالمسلمين في تعاملاتهم العسكرية كبيرة من قبل الأعداء والحلفاء، وتاريخ الفتوحات الإسلامية يوضح كيف أن كثيراً من الفتوحات تمت سلماً بعد أن أيقن الطرف الآخر أن الجيش الإسلامي حريص على احترام معاهداته، وعدم نقضها، حتى في الحالات التي يكون في نقضها تحقيق النصر السريع والحاسم له، فكان الطرف الآخر

---

[1] سورة المائدة، الآية: ١.
[2] سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
[3] سورة النحل، الآية: ٩١.
[4] سورة المؤمنون، الآية: ٨.

يدخلون في الإسلام طواعية، ويسلمون البلاد للمسلمين بعد أن تيقنوا بأن هؤلاء المسلمين لا يريدون الحرب، مع أنهم يمتلكون مقومات القوة فيها؛ بل يريدون السلم المبني على نشر مبادئ الإسلام التي هي مبادئ الخير، والمحبة، والسلام.

إنها جوانب من أنسنة الحروب في الإسلام، كما طبقها الرسول والمسلمون من بعده، فقد بُعِثَ النبي للناس جميعاً، كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]. وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

***

[1] سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
[2] سورة سبأ، الآية: ٢٨.
[3] سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

المبحث الثاني : تحديد مبادئ الحرب من الأدلة القرآنية.

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالبحث عن أسباب النصر، حيث يقول في محكم تنزيله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1]، في هذا الأمر الرباني بحث دؤوب –قدر الاستطاعة– عن كل مبدأ من مبادئ القتال، للوصول إلى أسباب النصر، وإذا ما التقت أسباب الأرض بأسباب السماء فإن النصر لمن يسعى إليه لا محالة.

وما أسباب الأرض إلا مبادئ الحرب علماً وتطبيقاً، وليست أسباب السماء إلا العناية الإلهية، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في قوله : بأن أسباب النصر هي أسباب ظاهرة في الجيوش والأسلحة وغيرها، واسباب خفية غير ظاهرة مثل الرعب والخذلان الإلهي.

لقد طبق المسلمون مبادئ حربية تعارف عليها من قبلهم ومن بعدهم فهم لم يكتفوا بأن يكونوا مؤمنين صادقين فحسب بل عاملين، وآخذين بالأسباب حتى يدركوا ما نذروا أنفسهم إليه إما النصر وإما الشهادة، وقد أضاء الرسول القائد ﷺ طريق الفكر العسكري أمامهم فيما وصى بقوله وعمله وتقديره وذلك من خلال سيرته العطرة سرايا وغزوات، فما من غزوة أو سرية إلا وفيها حكمة عسكرية جعلت المسلمين من بعده قادة عظماء، سطروا بسيوفهم إضافة إلى فكرهم العسكري مبادئ حربية جعلت من قادة الغرب ينهلون منها ما طاب لهم.

وفيما يلي عرض لتلك المبادئ الحربية التي نصت عليها الآيات القرآنية حيث يبتدئ الباحث في ذلك بذكر الآيات من سورة الأنفال في المطلب الأول، ثم يثني الباحث بما ورد في آي القرآن الكريم، من هذه المبادئ العظيمة والقواعد الرصينة في المطلب الثاني مستعيناً في ذلك بالله الواحد الأحد.

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

المطلب الأول : المبادئ الحربية في ضوء سورة الأنفال.

أولاً : مبدأ الردع:

الردع هو منع الدولة المعادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها أو منعها من العمل، أو الرد إزاء عمل معين، وذلك باتخاذ إجراءات وتدابير كفيلة بتحقيق الردع[1].

أ. إن الردع المعنوي والمادي للعدو سلماً وحرباً، أي الردع على المستوى السياسي والعسكري للصراع، يرتفع في المفهوم الإسلامي إلى مستوى القانون الأعلى الذي تدخل تحته جميع أنواع مبادئ الحرب أياً كان عددها، فالقرآن يؤكد أن الردع هو غاية ونتاج الإعداد الشامل بجميع القوى والمقومات الشاملة، التي أجملها أمره تعالى في قوله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]

ب. أما على المستوى الاستراتيجي العسكري، وما دونه من مستويات، فإن الردع في المفهوم الإسلامي هو مبدأ مركب، يشتمل على مبدأي الهجوم والدفاع، ومعهما جميع مبادئ الحرب اللازمة لتطبيقها، ولقد تأكدت هذه الحقيقة من سير العمليات الإسلامية في العهد النبوي، كما تأكدت من سياق التوجيه القرآني لتلك العمليات.

إنك لتجد هذه النظرية حاضرة بشكل واضح ضمن النظريات العسكرية للقرآن بل إنها تشكل هدفاً رئيسياً للإعداد في الإسلام حيث قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ ﴾[3]

---

[1] جمال الخلفات وبهاء الدين أسعد، **العسكرية الإسلامية وقادتها العظام**، ص ٩٠.
[2] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
[3] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

فقد بينت الآية الكريمة أن من الأسباب الرئيسية للإعداد هو إرهاب أعداء الله تعالى وأعدائنا، فضلا عن إيصال رسالة تهديدية للمتربصين والخائنين والمنافقين الذين لا نعلمهم وقد يكونون من بني جلدتنا وينتسبون لديننا ويمثلون طابوراً خامساً للأعداء بيننا.

يقول صاحب تفسير المنار عند هذه الآية: "وذلك إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد ومستعدون له، ومستكملون لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، ذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة . أولها : أنهم لا يقصدون دار الإسلام، وثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية، وثالثها : أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان، ورابعها : أنهم لايعينون سائر الكفار".[1]

إن مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم يحقق نظرية الردع بكل معانيها وجزئياتها، فأقوى وسائل الردع المؤدبة امتلاك القوة، فأنت لا تعلن تهديداً لأحد لكن امتلاك القوة والسلاح يوصل رسالة الردع دون أن تنطق بكلمة تهديد واحدة، ولا يعني ذلك إهمال القرآن لوسائل الردع العملية والتنفيذية بل نجد أن القرآن قد حث عليها فقال سبحانه وتعالى ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2]

فقد تضمنت هذه الآية شرطاً وجوابه، والمعنى إن أسرتم الأعداء أو إن وجدتم الأعداء في حالة الحرب، على القول الآخر فأنذروا بهم من خلفهم، بالتنكيل بهم وقتلهم ليتفرقوا.[3]

إن بعض الأعداء لا يمكن لهم أن يسالموا إلا إذا مرغت أنوفهم في التراب، لذا فقد كان لابد من بعض الوسائل القوية والشديدة لتأديب هذا النوع، وهذا يجسد نظرية الردع بشكل كامل.[4]

---

[1] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ٥٩/١٠

[2] سورة الأنفال، الآية: ٥٧ .

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، ٣٩١/٤، رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ٤٦/١٠

[4] جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، **أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم**، ص ٢-٣

ثانياً : مبدأ سمو الهدف :

قبل خوض أي معركة لابد من تحديد الهدف واختيار القصد، والتذكير الدائم به والمداومة عليه، وإذا كان القصد النهائي والهدف الأسمى لدى الجيوش المتحاربة ذات المقاصد الدنيوية، هو تحطيم إرادة الخصم؛ فلا يصدق هذا الهدف على الجيش الإسلامي الذي خرج لإنقاذ الناس وهدايتهم، وعليه.. فيكون القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الطلب : هو نشر الإسلام وتبليغ دعوة الله تعالى؛ وأما القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الدفع فهو نصرة المظلومين ودفع البغاة المحتلين.

إن دليل هذا المبدأ هو القياس على النصوص القرآنية، التي حددت مهام وأهداف العمليات الإسلامية ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]

ولا يقتصر هذا المبدأ على اختيار الهدف وتحديد المهمة فحسب، وإنما يحرص أيضاً على أن تكون المهمة المخصصة مطابقة ومناسبة للإمكانيات والقدرات المعنوية والمادية المتاحة. وهو ما يعبر عنه بمبدأ التكليف بقدر التوسع، وبذلك يتيسر للقوات تطبيق مبدأ المحافظة على الغرض.

ثالثاً : مبدأ حشد القوة :

هذا بالمصطلح الحديث وقد كان يعرف بمبدأ النفير العام : وهو يعني جمع أكبر قوة سواء كانت مادية أو معنوية في مواجهة العدو، بحيث تناسب القوة الموقف، وفي الزمان والمكان المناسبين.[2]

إن نظرية حشد القوة التي اعتمدها العسكريون كإحدى النظريات العسكرية لها في كتاب الله تعالى ما يشير إليها ويؤكد عليها، ولعل آية الإعداد من أبرز تلك الآيات حيث

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

[2] المومني، أحمد محمد، **التعبئة الجهادية في الإسلام**، ص ٢٣٧

قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [1]

والإعداد في الآية يشمل العُدَّة وهي وسائل الجهاد فمن ذلك السلاح والركائب والطعام والشراب والملابس والخيام والدواء وكل ما يحتاجه المجاهدون، ويشمل العَدَد وهم المجاهدون وذلك بإعدادهم دينيا وعلمياً وعسكريا وذلك بتعليمهم العقائد وفنون الحرب وتدريبهم حربيا وعسكريا.

ويعضد هذه الآية قوله تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [2]

فقد استنفر الله عز وجل في هذه الآية الجميع للجهاد في سبيل الله ومواجهة الأعداء حيث استنفرنا كهولاً وشباناً، خفافاً وثقالاً، ركباناً ومشاةً، زرافات ووحداناً، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء.[3]

رابعاً : مبدأ الاقتصاد في القوى :

النفير الجزئي كما كان معروفا من قبل أو مبدأ الاقتصاد في القوى كما يطلق عليه في العصر الحديث : هو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية.[4]

والاقتصاد ينبغي أن يشمل القوى البشرية والقوى المادية، من عتاد وسلاح وممتلكات، لكن من الضروري أن لا يؤثر الاقتصاد في استخدام القوى على النتائج، فلا نستخدم جندياً إلا في الموضع الذي لابد أن يكون فيه.

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
[2] سورة التوبة، الآية: ٤١.
[3] الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**،١٤٤/٢.
[4] جمال الخلفات وبهاء الدين أسعد، **العسكرية الإسلامية وقادتها العظام**، ص ٩٩.

والاقتصاد لا يعني البخل وإذا علم القائد أننا بحاجة لقوة في ثغر ما، وبخل بها، يكون بذلك خائناً عسكرياً، وخلاصة هذه المسألة أن توظيف القوى يكون بحسب أهمية الأهداف ومتطلباتها.

وقد سجل القرآن الكريم مبدأ الاقتصاد في القوى في معرض حديثه عن غزوة بدر في سورة آل عمران حيث قال الله تعالى ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]

وفي سورة الأنفال قال في ذات غزوة بدر ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[2]

يقول الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف؛[3] وبمثل ذلك قال قتادة.

فتتابع المدد يؤكد نظرية الاقتصاد في القوى فالله تعالى يعلم السر وأخفى وكان بمقدوره أن يمدنا بخمسة آلاف منذ البداية، فجاء التتابع ليجسد لنا درساً في اقتصاد القوى، وتوزيعها حسب الحاجة.

خامساً : مبدأ التعاون :

وهذا المبدأ يعني التضامن من أجل الوصول إلى الهدف، وذلك بتوحيد جهود كافة الدوائر والقطاعات.[4]

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٢٤ – ١٢٥.
[2] سورة الأنفال، الآية: ٩.
[3] الصابوني، **مرجع سابق**، ٣١٦/١.
[4] جمال الخلفات وبهاء الدين، **مرجع سابق**، ص ١٠٥.

لقد وضع المنهج الرباني هذا المبدأ من أجل تحقيق هدف واحد هو توحيد القوى والجهود الإسلامية، والقوات المسلحة، وتوثيق الجهود القتالية في العمليات الحربية معنوياً وفكرياً ومادياً، والسمة الإسلامية الشديدة الخصوصية هنا أن مفعول هذا المبدأ ينبعث مباشرة من العقيدة الإيمانية الراسخة، ومن تشريعاتها الضابطة الملزمة.

وبالنظر في آيات السورة الكريمة نجد اهتماماً واضحاً بمبدأ التعاون حيث يظهر ذلك من خلال قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] فمبدأ التعاون واضح من مفهوم الآية الكريمة فقد نهانا الله تعالى عن التنازع لأنه يفضي إلى الفشل، في ين أن عدم التنازع ثمرة من ثمرات التعاون.

ويظهر من خلال قوله تعالى ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [2] فالآية الكريمة صريحة الدلالة على مبدأ التعاون والتنسيق بين الجند والقادة من جهة، وبين قطعات الجيش المختلفة من جهة أخرى، وبين الجيش وأجزائه والإمام الأكبر أو نوابه من جهة ثالثة.

سادساً : مبدأ المرونة والمناورة :

والمقصود به القدرة على المناورة والانتقال ويعتمد دقة تطبيق مبدأ المرونة بشكل أساسي على متانة التدريب وقوة الإعداد وبراعة التخطيط ومهارة القيادة. [3]

ومما يدل على مبدأ المرونة والمناورة قوله تعالى ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [4] ومعنى التحرف للقتال أن ينصرف المجاهد من جهة إلى أخرى أو من موضع لآخر حسب ما يقتضيه حال القتال، كأن ينحرف من مواجهة الشمس أو الريح إلى استدبارهما،

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
[2] سورة الأنفال، الآية: ١٦.
[3] جمال الخلفات وبهاء الدين، **مرجع سابق**، ص ١٠٢.
[4] سورة الأنفال، الآية: ١٦.

أو ينتقل من مكان ضيق إلى أرحب منه، أو من موضع مكشوف إلى آخر يستره، أو من نزلة إلى علو أو العكس ونحو ذلك مما جرت به عادة أهل الحرب ويناسب حال الميدان والحرب والقتال.[1]

وهذا التحرف للقتال يكون للمجاهد الفذ، وللفئة من الجيش، وللجيش كله، بدليل أن الاستثناء في الآية الكريمة كما أنه يشمل الفرد فإنه يشمل الأكثر من باب أولى للمصلحة، ولكن قد يستلزم هذا إذن الأمير لئلا يفضي إلى التفكك ونحوه.

إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ: (قابلية الحركة)، أصبح يسمى الآن مبدأ: (المرونة)، ذلك لأن (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيرا صحيحا إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو. إن (المرونة) تعني أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرن الفكر وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته وأن تكون خططه بشكل يمكنه من أن يعدل سريعا حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة وغير المتوقعة.[2]

سابعاً : مبدأ التفوق النوعي :

أوجب القرآن على المسلم الواحد ألا يفر من قتال فردين من العدو، وجاء ذلك في الآية ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ ﴾[3]، ومن ثم فإن تناسب القوى بين المسلمين وبين أعدائهم هو نسب ١ : ٢، كما بين القرآن أنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، غير أن المنهج القرآني لم يدع المسألة عند هذا الحد، بل إنه زود

[1] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط الحلبي ٢٠١/٩.
[2] خطاب، محمود شيت، **الرسول القائد**، ط٦، دار الفكر ٤٥٦/١.
[3] سورة الأنفال الآية: ٦٦.

المسلمين بالمبادئ، التي إذا طبقتها القلة المسلحة تفوقت نوعياً وتغلبت على التفوق العددي المعادي، وهذه المبادئ هي الانتقاء، والتدريب، والطاعة، والانضباط، والصبر، والمثابرة، والثبات، والشدة، والغلظة في القتال. ويتدعم هذا التفوق النوعي ويتضاعف مفعوله بمجموعة مبادئ القوة الروحية والتفوق المعنوي، ومما تقدم يتضح أن مبدأ التفوق النوعي هو مبدأ حرب مركب مثل مبدأ الردع.

ثامناً : مبدأ تحريم الخيانة:

أداء الأمانة من صفات أهل الإيمان، وقد عد القاضي أبو يعلى من شعب الإيمان: بأن يكون مأموناً على كل مال وعرض وأمانة، وضد الأمانة الخيانة والتي هي من علامات أهل النفاق، ومن التربية العقائدية للعسكريين التحذير من الخيانة قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. ففي هذه الآية (أنه تعالى أمرهم أن لا يخونوا الغنائم، وجعل ذلك خيانة له ، لأنه خيانة لعطيته وخيانة لرسوله لأنه القيم بقسمها، فمن خانها فقد خان الرسول، وهذه الغنيمة قد جعلها الرسول أمانة في أيدي الغانمين وألزمهم أن لا يتناولوا لأنفسهم منها شيئاً فصارت وديعة، والوديعة أمانة في يد المودع، فمن خان منهم فيها فقد خان أمانة الناس، إذ الخيانة ضد الأمانة)[2].

تاسعاً : مبدأ الثبات :

في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3] توضح أدلة مبدأ الثبات أنه يشتمل على ثبات معنوي أيضاً، فالثبات المادي يكون بخوض القتال بشدة، وإيجابية، وصمود، وصدق، وإخلاص؛ أما

[1] سورة الأنفال، الآية: ٢٧.
[2] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ١٥١/١٥.
[3] سورة الأنفال الآية: ٤٥.

الثبات المعنوي، وما يصاحبه من اتزان نفسي، فذلك يتحقق لكل من آمن بالله وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، وبأن نصر الله حق لمن ينصره.

عاشراً : التكبير والذكر عند اللقاء :

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] فكما أمرت الآية بالثبات فإنها أمرت بالاستعانة بالذكر.

قال الإمام القرطبي : وحكم هذا الذكر أن يكون خفيفاً، لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كان الذاكر واحداً، فأما إذا كان من الجميع عند الحملة، فحسن ؛ لأنه يفت في أعضاد العدو.[2]

فالتكبير والذكر مبدأ من المبادئ العسكرية التي استخدمها القادة الأوائل، وله آثاره الإيجابية الكبيرة على نفسية جند المسلمين لقوله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] إضافة إلى آثاره السلبية على نفسية الأعداء المحاربين كما وصف الله حالهم عند ذكره سبحانه فقال ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4] وعلاوة على ذلك فإن الذكر سبب من أسباب النصر كونه طاعة لله جل ثناؤه.

حادي عشر : مبدأ الطاعة:

يستدل على المبدأ من الألفاظ الصريحة الواردة في نص الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[5]، ومن قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

[1] سورة الأنفال الآية: ٤٥.
[2] القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، ٣٨٤/٤،
[3] سورة الرعد، الآية: ٢٨.
[4] سورة الزمر، الآية: ٤٥.
[5] سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]

ولقد قرر علماء الفقه والشريعة حكم مبدأ الطاعة بأنه واجب.

ثاني عشر : مبدأ التحريض :

التحريض هو الإعداد والتعبئة المعنوية العقلية للشعب والقوات المسلحة، في أثناء السلم وفي أثناء الحرب، ويشمل التحريض جزئياً تحديد العدائيات، وأسباب ودوافع الحرب، وأهدافها. ولهذا قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[2] أي حثهم أو مرهم عليه.

وبعد هذا العرض يتبين لنا عظم سورة الأنفال التي حملت في طياتها العديد من المبادئ والركائز والمقومات التي إن طبقها الجيش المسلم في معاركه تفوق وانتصر.

فمن خلال ما سبق ذكره على الجندي المسلم أن يعي أهمية هذه المبادئ، ويكفي أن يعلم الجميع أن الأنظمة العسكرية الحديثة اعتمدت وبشكل كبير عليها، فنحن أمة القرآن أولى الناس بقواعدنا من غيرنا، لنتمسك بها ونطبقها على واقع معاركنا ليكون الظفر والغلبة من نصيبنا.

وفيما يلي يستعرض الباحث المبادئ التي ورد التنصيص عليها في مواضع شتى من كتاب ربنا جل جلاله، وهي بمثابة دستور حربي عسكري متين، تتألف قوانينه من هذه الآيات وتلك، فإلى المطلب الثاني ومع المبادئ المذكورة في سور القرآن الكريم.

***

[1] سورة الأنفال، الآية: ٤٥ ــ ٤٦.
[2] سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

المطلب الثاني : المبادئ الحربية في سور القرآن الكريم.

أولاً : مبدأ غرس عقيدة الجهاد :

قرر علماء الفقه والشريعة أن حكم مبدأ الجهاد واجب، والألفاظ الصريحة الواردة في نص الآية ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾[1]، وفي نص الآية ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾[2]، وكذلك ورد الحث عليه في الكثير من الآيات منها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾[3]

إن مبدأ الجهاد غير فريضة الجهاد، التي تعني الاستراتيجية الشاملة العليا، فالجهاد بوصفه مبدأ حرب إسلامي يقتضي بذل أكبر جهد في تحضير وإدارة أعمال القتال سواء كان هذا الجهد على مستوى الفرد، أو على مستوى التجميع الاستراتيجي، وسواء كان الجهد مبذولاً بين صفوف القوات المسلحة من أجل إعدادها واستخدامها على أفضل وجه، أو كان الجهد موجهاً إلى شل قدرة وإمكانيات العدو، وتطبيق هذا المبدأ من

[1] سورة الحج، الآية: ٧٨.
[2] سورة التوبة، الآية: ١١١.
[3] سورة المائدة، الآية: ٣٥.

مسؤولية القادة والمرؤوسين، ويمتد مفعوله إلى مختلف المجالات المعنوية، والنفسية، والعقلية، والمادية، للعمل العسكري[1].

ثانياً : مبدأ صدق النية :

من المسلمات أن صدق النية ركيزة أصيلة من ركائز نجاح الأعمال، وخاصة عمل يعرض حياة الإنسان للقتل وأرضه للسلب، ودينه للخطر، والأعمال بالنيات كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد وصف الله تعالى صحابة رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين بالرجال الصادقين، فقال سبحانه ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] فهم أولا مشهود لهم بالإيمان، وهم رجال تنطبق عليهم كل شروط الرجولة حيث الوفاء بعهد الله تعالى، والصبر على البأساء والضراء وحين البأس، فمنهم من وفى بنذره فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه كما غير المنافقون وبدلوا.

ثالثاً : مبدأ الثقة بأن الآجال مكتوبة :

ربى القرآن الكريم العسكريين أن منازلة الأعداء، لا تقدمهم إلى الموت، كما أن الفرار من الزحف أو ترك الجهاد لا يبعدهم عن الأجل، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[3] وما مات محمد ﷺ ولا يموت غيره من خلق الله إلا

[1] الموسوعة الإلكترونية، مقاتل من الصحراء.
[2] سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
[3] سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت، فأما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال.[1]

رابعاً : مبدأ طاعة القائد :

وعندما نقول طاعة القائد إنما نعني به القائد المسلم الذي لا يأمر إلا بمعروف ولا ينهى عبداً إذا صلى، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2]

وقال سبحانه في طاعة أولي الأمر الملحقة بطاعة الله ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[3]، قال الفخر الرازي : هذه الآية إنما نزلت في شأن الوقائع المتعلقة بالحروب والجهاد.[4]

خامساً : مبدأ التعاون ونبذ الفرقة :

والأمر بالتعاون بين المسلمين من أصول الدين وقواعده حيث أن الأمة الإسلامية أمة واحدة فربها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحده قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[5]، وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[6]، وحتى تحافظ هذه الامة على وحدتها أمرها الله تعالى بالتعاون فيما بينها والتلاحم على الحق ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ١٠٨/٦.
[2] سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
[3] سورة النساء، الآية: ٥٩.
[4] الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ١٦٠/١٠.
[5] سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.
[6] سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[1]، وقد حذر الله تعالى من عواقب التنازع والشقاق والتفرق فقال تعالى ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2]

ومن هنا فإن الله تعالى قد صرح في القرآن الكريم بأنه يحب المقاتلين المتحدين تحت راية الإسلام المتعاونين فيما بينهم النابذين لبذور الشقاق والنزاع فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾[3]

سادساً : مبدأ الصبر والأناة :

من المبادئ الإسلامية التي يجب على الجندي المسلم أن يتخلق بها مبدأ الصبر، لقوله تعالى ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[4]، فالصبر مطلوب بصفة حتمية في مجابهة العدو قال تعالى في شأن غزوة بدر الكبرى ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[5]، فمع الصبر يكون المدد ومع الصبر يكون الفلاح قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[6]، يقول ابن جزي الكلبي : وصابروا أي صابروا عدوكم في القتال ؛ ورابطوا : أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد.[7]

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٢.
[2] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
[3] سورة الصف، الآية: ٤.
[4] سورة العصر، الآية: ١ – ٣.
[5] سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.
[6] سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
[7] ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ١٢٨/١.

والصبر هو أحد أعمدة البر ورافد من روافد التقوى، قال تعالى في آية البر ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]

ولقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام البررة حتى مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فكان نتاج ذلك نشر الإسلام في أرض الله الواسعة قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[2]، فكم فقدوا من أجل الإسلام من أهل وولد وبيت ومال، وكم ذاقوا من المر أواناً.

ونظير آية البقرة آيات تحث على الصبر والتخلق بأخلاق الصابرين قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3]، وقال جل شأنه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، ولكون الصبر من أقوى أسباب النصر قال عليه الصلاة والسلام ((وأن النصر مع الصبر))[5]، فعلى الجندي المسلم أن يصبر ويصابر كي يحوز واحداً من مبادئ الجندية في الإسلام الحنيف.

سابعاً : مبدأ تحريم الظلم:

قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[6] إن التوجيه الإلهي في هذه الآية للعسكريين بأن (لا تقتلوا وليدًا ولا امرأةً، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابَين والمجوس، {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
[2] سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
[3] سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
[4] سورة محمد، الآية: ٣١.
[5] مسند أحمد، ٣٠٧/١، رقم الحديث ٢٨٠٤.
[6] سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

ٱلْمُعْتَدِينَ } الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حَرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم).[1]

ومن أقوى أسباب عدم تولي الولايات على الناس الظلم، ولهذا لما ابتلى نبي الله إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – بالإمامة، طلب من ربه أن تستمر الإمامة في ذريته، فقال له سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2]

إن من معاني هذه الآية أن لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.[3]

ثامناً : مبدأ نصرة المظلوم:

من الصفات الإيمانية التي ربى القرآن الكريم العسكريين عليها نصرة المظلوم، قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[4]

ففي هذه الآية يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة، من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: { ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ } يعني: مكة. ثم وصفها بقوله: {ٱلظَّالِمِ

---

[1] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص ٧١.
[2] سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
[3] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ٤٩٨/٢.
[4] سورة النساء، الآية: ٧٥.

أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا } سخر لنا من عندك وليا وناصرا.

وثبت عن ابن عباس أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.[1]

ولأهمية نصرة المظلوم أن الإمام محمد بن عبدالوهاب أعتبر خذلان المظلوم من الكبائر.[2]

تاسعاً : مبدأ عدم التأثر بالشائعات :

لسنا مبالغين إن قلنا بأن الشائعات الكيدية لو تمكنت من سامعيها وراجت فإنها تعصف بكل شيء، وتحطم المعنويات، وتغرس الجبن والخور، لذا أمرنا الله تعالى ألا نستجيب لها ودعانا سبحانه للتثبت من الأخبار فقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3]

عاشراً : مبدأ اليقين بأن النصر من عند الله وحده :

فالله عز وجل وحده هو الذي يكسب الأشياء خواصها، فالطعام لا يشبع بذاته، والشراب لا يروي بذاته، والسكين لا يقطع بحدته، ولو كان يقطع بحدته ما سلب منه خاصية الذبح يوم أراد إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام.

وعلى هذا فما التجهيزات العسكرية إلا استجابة لله ولرسوله في الأخذ بالأسباب، قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ ﴾[4] وإلا فإن الله تعالى ينصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذنه سبحانه لا بسلاحها، أليس هو القائل ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ

---

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ٣١٤/٢.**صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب تفسير (ومالكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين) حديث رقم ٤٢٢٢.

[2] التميمي، محمد بن عبدالوهاب، **كتاب الكبائر**، ص ٢١٥

[3] سورة الحجرات، الآية: ٦.

[4] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[1]، ولقد أكرم الله الفئة القليلة في بدر بتغيير نواميس العين ومسار رؤياها كما بين الله تعالى ذلك في قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، وفي سورة الأنفال يبين الله حقيقة ذلك التغيير بقوله تعالى﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾[3] والذي يؤثر في آلة الحرب إصابة للهدف هو الله سبحانه تعالى وبإرادته، يقول سبحانه ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4]

فيوم أن نكون عباداً لله حقاً، يومها سينصرنا الله مهما كان في المقابل من قوى على اختلاف مسمياتها قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[5]

فوعد الله لا يتخلف ولكننا نحن الذين نتخلف ..

حادي عشر : مبدأ الشورى :

وحكم هذا المبدأ كسابقه واجب كما قرره علماء الفقه والشريعة، ومن النصوص الصريحة الواردة في هذا المبدأ قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
[2] سورة آل عمران، الآية: ١٣.
[3] سورة الأنفال، الآية: ٤٣ – ٤٤.
[4] سورة الأنفال، الآية: ١٧.
[5] سورة الصافات، الآية: ١٧١ – ١٧٣.

ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1]

ثاني عشر : مبدأ الحِذر :

والحِذْرُ : هو توقّي المكروه، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾[2]، بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين.

أ. هذا المبدأ يقابله في المصطلح الحديث مبدأ الأمن، إلا أن مبدأ الحذر الإسلامي أقوى وأعم وأشمل وأتم، فالحذر فريضة إسلامية دائمة ملزمة للأمة كلها، سلماً وحرباً، في جبهة القتال وفي الجبهة الداخلية، ودليل مبدأ الحذر في نصوص سورة النساء، والتي دلت بالمعنى الضمني على مبدأ الاستعداد القتالي الدائم، ولقد بلغ من قوة الإلزام بفريضة الحذر أن عدل الله سبحانه من كيفية أداء فريضة الصلاة، بحيث يمكن أداء الفريضة والحذر الكامل على أتم وجه، حتى في مواقيت الصلاة، فقال تعالى ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[3]

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
[2] سورة النساء، الآية: ٧١.
[3] سورة النساء، الآية: ١٠٢.

ب. لمبدأ الحذر أبعاد شتى، ففي السلم تحاط الأمة بحماية حدودها بالرباط والإعداد والاستعداد الشامل الدائم، طبقاً لتقنيات العصر والتطور. كما يتم تأمين الدولة، خارجياً بالتحالفات وغيرها من أوجه العمل السياسي العسكري، وتؤمن داخلياً بالولاء الإسلامي، وبالتحريض، وبتأمين استقرار المؤخرة، أما في ميدان القتال فإن وحدة وكفاءة القيادة تعمل على تأمين حرية عمل القوات بالاستطلاع والمخابرات، وبالسرية، والخداع، وبالتعاون، والترابط، والتكامل، وبتعزيز الأهداف المكتسبة، وبغير ذلك من مبادئ الحرب الإسلامية، التي تمنح الدولة وقواتها المسلحة أكبر قدر من الأمن الموثوق به والمعتمد عليه، والذي ينعكس إيجابياً على مستويات الصراع لصالح المسلمين.[1]

ثالث عشر : مبدأ المفاجأة والمباغتة :

وهو أهم مبدأ من مبادئ الحرب. وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق (للكتمان) قبل أن يفطن إليه الألمان ويستعملوه في الحرب العالمية الثانية.

والمباغتة هي: إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له، والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي الى المباغتة. والمباغتة أهم مبدأ من مبادئ الحرب.

المباغتة تكون إما بالمكان او بالزمان او بالأسلوب. فالمباغتة بالمكان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. والمباغتة بالزمان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. والمباغتة بالأسلوب: ضرب العدو بأسلوب حربي لا يتوقعه العدو سواء أكان ذلك بخطة جديدة او سلاح جديد. والمباغتة بالأسلوب من مزايا القائد العبقري.

وقد عبَّر القرآن الكريم عن ذلك كما يلي:

[1] الموسوعة الإلكترونية، مقاتل من الصحراء.

١. بذكر رباط الخيل في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [١]، فإن «الخيل» تعبير يشير إلى سرعة الحركة والمبادأة.

٢. وبذكر كل ما يعدو ويغير ويثير الغبار ويرسل الشرر من أدوات الهجوم، (ومنها الخيل وما يقوم مقامها حديثاً، مثل: (الدبابات، والمدرعات)، وهو ما يُفهم من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾ [٢]، ففي هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التي يُسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجري، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قرحها للأرض الحجرية، والتي يهجم بها فرسانها على العدو في وقت الصباح، فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته.

رابع عشر : مبدأ الأمن :

ففي قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾ [٣] هي الخيل حال كونها تعدو وعلى ذلك عامة أهل التفسير واللغة .

فقد قيل كانت تكعم أي يشد فاها بشيء يوضع فيه لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة.[٤]

وقال الفراء : الضبح أنفاس الخيل إذا عدت.

---

[١] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
[٢] سورة العاديات، الآية: ١ – ٥.
[٣] سورة العاديات، الآية: ١.
[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٦٨٠/٧.

فترى هذه الآية تتضمن مبدأ الأمن، فإن السرعة وكتم الصوت إنما هي إجراءات أمنية للمحافظة على سلامة الجند والقادة المغيرين على الأعداء.

خامس عشر : مبدأ الهجوم والمبادأة :

إن الهجوم الخاطف والسريع يرعب العدو وبالتالي فإن العدو لا يقوى على مواجهته بسهولة، ويستخدم هذا النوع من الهجوم غالباً للتغلغل القصير المدى في مناطق العدو، وذلك لتحقيق أهداف مرحلية.[1]

ومن الآيات الدالة على هذا المبدأ قوله تعالى ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾[2]

والمعنى أن الخيل العاديات لشدة سرعتها تحول صهيلها إلى ضبح، وتحولت حوافرها إلى سنابك تضرب الصخر والحجر فتوري منهما الشرر، والبدء بالهجوم متحقق في الإغارة.

سادس عشر : مبدأ التغطية :

إذا ما تأملنا قوله تعالى ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ ﴾[3] وهو في وصف الخيل حينما تثير غباراً شديداً بعدوها في المكان الذي أغارت فيه نجد أن من أبرز المبادئ التي يحققها الغبار المثار مبدأ التغطية ؛ حيث أنه في ظل الغبار المتصاعد والمتراكم تضعف الرؤية ويصعب تحديد الأهداف، ويقع العدو في حيرة شديدة، ويمكن أن نستعيض عن الغبار في زمننا بالقنابل الدخانية، بحيث تنفذ الضربة الأولى للعدو، وبعد ذلك تضرب القنابل الدخانية

[1] المومني، أحمد محمد، **التعبئة الجهادية في الإسلام**، ص ٢٠٩.
[2] سورة العاديات، الآية: ٢– ٣.
[3] سورة العاديات، الآية: ٤.

ويتم تنفيذ ما تبقى من أهداف في ظل ربكة العدو وحيرته، وقد يستعاض عنها بإشعال الإطارات، أو خنادق النفط ... ونحوها.[1]

سابع عشر : مبدأ تحديد موضع الضرب (الاختراق) :

كذلك في سورة العاديات وامتداداً للآيات السابقة نجد في قوله تعالى ﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا** ۝٥ ﴾[2] تحديداً للموضع الذي يستهدفه المغيرون لنجاح غارتهم، وتحقيق هدفهم، وإن ضرب وسط مجمع العدو يحقق جملة من الإنجازات منها :

ضرب قيادة الأعداء: فالقيادة غالباً ما تتمترس في الوسط لبعدها عن الخطر الذي يهدد الأطراف، ذلك أن الوصول للوسط في بداية الهجوم أسهل بكثير من الوصول إليه عند ضرب الأطراف، إذ أن الإجراءات الأمنية المتخذة قبل الإغارة تكون أقل بكثير من الإجراءات المتخذة بعد بداية الإغارة، وبالتالي يمكن إصابة القيادة بشكل سهل .

تفريق جمع الأعداء: إن ضرب الوسط يعني أن عملية الفرار ستتخذ طريقها في غير اتجاه منطقة الوسط، وكلما اتسعت دائرة هروبهم زاد تفرقهم، وتمكنت مجموعة الإغارة من تنفيذ مهامها الرئيسية .

إرعاب الأعداء وإرهابهم: إن ضرب الوسط يعني سقوط كل أنظمة الحماية ونظريات الأمن التي وضعها الأعداء، وهذا يحمل في طياته تدميراً نفسياً للقيادة، ويمثل شبحاً مرعباً لجميع الجنود، فإذا لم تستطع القيادة أن تحمي مقرها فهي عن حماية غيرها أعجز وبالتالي تنزع الثقة من القيادة، ويسود الشك في نفوس كل الجنود، وينغرس الرعب والخوف في قلوبهم.[3]

---

[1] جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، **أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم**، ص ٤٣.
[2] سورة العاديات، الآية: ٥.
[3] جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، **أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم**، ص ٤٤.

خلاصة ما تقدم :[1]

وبعد سياحة علمية في جنبات القرآن الكريم من خلال موضوع المبادئ الحربية يستطيع الباحث تلخيص الآتي:

١. أن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي الأصل الأصيل والركن الركين في غرس وتأصيل مبادئ الجهاد.

٢. أن صدق النية مع الله تعالى من أقوى أسباب النصر على الأعداء.

٣. من أهم الصفات التي تميز الجندي المسلم الأمانة، وهي من صفات أهل الإيمان، فيجب أن يكون الجندي المسلم بعيداً عن كل ما يقرب للخيانة العسكرية والمدنية، مأموناً على كل نفس ومال وعرض.

٤. الهدف الأسمى من جهاد الطلب نشر الإسلام وتبليغ الدعوة الإسلامية، أما في جهاد الدفع فهو نصرة المظلومين ودفع البغاة المحتلين.

٥. أن يتربى المسلمون على نصرة بعضهم لاسيما المستضعفين منهم.

٦. ظلم الجيش لنفسه ولغيره يمنعه من نيل المقامات العلى، وأسماها الإمامة في الدين، فلكي ينتصر المسلمون وينالوا الإمامة الدينية والدنيوية لابد من التحلي بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض، وعدم التعدي منه إلى الظلم.

٧. من أقوى المبادئ الحربية مبدأ الردع، فهو يجسد عنصر تخويف للدول المعادية، وتأديب لحلفائهم من المتربصين والخونة والمنافقين، لمنعهم من قصد دار الإسلام بسوء.

٨. الثبات المعنوي كالاتزان النفسي، والثبات المادي كالصمود والقتال بشدة عنصران مهمان لكسب رحى المعركة.

٩. الموت نهاية كل حي، ومادام أن الآجال محددة والأعمار بيد الله تعالى، فلن يعصم المرء فرار ولا هروب ولا تولٍّ من الموت، إذا حان موعده.

---

[1] خضر، عبدالفتاح بن محمد، **المبادئ العسكري في ضوء القرآن الكريم**، ص ٣١ بتصرف وإضافات عدة.

١٠. التكبير وذكر الله تعالى وصدق الالتجاء إليه له بالغ الأثر على نفسية جند المسلمين، كما أنه في المقابل يؤثر سلباً على نفسيات أعداء الله المحاربين.

١١. التعبئة المعنوية لكافة الناس وبخاصة للجند المقاتلين أثناء السلم والحرب يهيئ النفوس ويشحذ الهمم ويقوي العزائم، وذلك بالحث على الجهاد والتذكير بفضله ودوافعه وأهدافه، ودراسة أحكامه والالتزام بآدابه.

١٢. الأخذ بعين الاعتبار مسألة تناسب القوة مع الموقف والزمان والمكان، لحشد العدة والعتاد بما لا يؤثر على النتائج، فيتم التخطيط المسبق لتحديد احتياج المعركة من القوى البشرية والمادية وآلية الاستفادة من تلك القوى.

١٣. على الجندي المسلم أن يتدرب تدريباً جيداً، فقطرة العرق في التدريب توفر قطرة الدم في المعركة.

١٤. من المبادئ الواجبة على الجندي المسلم مراعاتها طاعة قائده، فطاعة أولي الأمر واجبة بنص القرآن الكريم.

١٥. على الجنود المسلمين التعاون فيما بينهم، ونبذ التنازع وكل ما يوجب الفرقة بينهم، لأن نهاية الفرقة والشقاق الهزيمة والعياذ بالله تعالى من ذلك.

١٦. طالما فرض على المسلم الحرب فعليه أن يستبسل في مواجهة عدوه بكل شراسة وبسالة وليعلم أن القوة تستمد ممن له القوة جميعاً سبحانه.

١٧. على الجندي المسلم الاعتقاد الجازم بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

١٨. الحذر من سماع الإشاعات وتصديقها، فهي موهنة لقلب المحارب مضعفة من عزمه، فلا يستمع المجاهد إلا من الموثوق به من الأخبار.

١٩. اليقين المطلق بأن النصر من عند الله القوي العزيز.

٢٠. التزام هدي النبي ﷺ في إشراك غيره من أهل المشورة والرأي السديد، وعدم التفرد في اتخاذ القرار.

٢١. توخي الحذر بالاستعداد التام للأعداء وسد الثغرات وتأمين حرية عمل القوات، باستخدام كافة الأساليب الممكنة للقيام بذلك.

٢٢. السرية والكتمان من أهم ما يجب العناية به، وينبني على ذلك كافة الأساليب القتالة الناجحة، كالسرعة والسبق، والمفاجأة والمباغتة، والهجوم والمبادأة.

٢٣. التدرب على المرونة أو ما يسمى بقابلية الحركة والقدرة على الانتقال لكسب الفرص وتحقيق الانتصار في أقل وقت ممكن.

٢٤. التغطية والتعتيم عقب ضرب الهدف مربكة للعدو ومسهلة للحركة.

٢٥. استهداف مركز قيادة الأعداء في بداية الهجوم أسهل منه فيما بعد، ومن فوائده اضطراب الأعداء وتفرقهم وقذف الرعب في قلوبهم، وذلك يمثل تدميراً نفسياً للقيادة.

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى المبحث الثالث لدراسة تطبيق هذه المبادئ في حروب المسلمين ومعاركهم ابتداءً بالوقوف مع السيرة العسكرية للقائد الأعلى ﷺ، ومن ثم تطبيقها في الفتوحات الإسلامية وهذا ما سيتم طرقه في المبحث الثالث.

المبحث الثالث : تطبيق مبادئ الحرب في السيرة النبوية العسكرية، والفتوحات الإسلامية.

إن المتتبع لسيرة النبي ﷺ ومن بعدة من القادة المسلمين الناجحين ليجدها حافلة بكل ما تقدم تفصيله من مبادئ الحرب وقيمها الأصيلة.

وفي هذا المبحث سنستعرض في المطلب الأول منه بعض تطبيقات تلك المبادئ العظيمة في واقع غزوات الرسول القائد ﷺ، وكيف كان تعامله مع الحرب، في ظل استخدامه لهذه المبادئ التي كانت سبباً في النصر على الأعداء، وفي المطلب الثاني كذلك استعراض لما جاء من تطبيقات لهذه المبادئ في عصر الفتوحات الإسلامية في ضوء معركتين عظيمتين وهما: اليرموك والقادسية.

المطلب الأول : تطبيقها في سيرة القائد الأعلى ﷺ.[1]

كان الرسول صلّى الله عليه وسلم يعرف مبادئ الحرب بالفطرة السليمة التي تدل على استعداده الفطري الممتاز للقيادة.

وقد طبّق الرسول صلّى الله عليه وسلم هذه المبادئ في معاركه كلها، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته.

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسول صلّى الله عليه وسلم العسكرية الى أمثلة كثيرة من تطبيقه العملي لمبادئ الحرب العشرة: اختيار المقصد وإدامته، والتعرض، والمباغتة، وحشد القوة، والاقتصاد بالمجهود، والأمن، والمرونة، وإدامة المعنويات، والأمور الادارية. وسنذكر بعض هذه الأمثلة، للدلالة على تطبيق هذه المبادئ بكفاية نادرة فذة تدعوان الى الاعجاب والتقدير الشديدين.

أولاً : اختيار المقصد وإدامته[2] :

كان الرسول صلّى الله عليه وسلم يختار مقصده بالضبط، ويفكر في أقوم طريقة للوصول إليه، ثم يقرّر خطة مناسبة للحصول عليه.

لقد ظهر مبدأ: (اختيار المقصد) في أول معاهدة عقدها الرسول صلّى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة، تلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين من جهة والمشركين ويهود من أهل المدينة من جهة أخرى، فنصّت على أنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن.

---

[1] نظراً لضيق الوقت فإنني أسوق هذا المبحث تتميماً لفائدة البحث نقلاً عن كتاب **الرسول القائد**، للواء محمود شيت خطاب، لأهميته.

[2] اختيار المقصد وإدامته: في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح. إن المقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على القتال. يجب أن توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الأعلى، ولكن لكل منها مقصد محدود يجب أن يعرف بوضوح.

إن قريشا أخرجت الرسول صلّى الله عليه وسلم وأخرجت أصحابه من مكة ظلما وعدوانا، فمن حقه أن تكون قريش (مقصده) الحيوي الذي يختاره.

ولعل من أبرز أمثلة: (اختيار المقصد) ما فعله الرسول صلّى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية.

لقد كان (مقصده) من تلك الغزوة التأثير في معنويات قريش من غير قتال، فخرج محرما واستصحب أسلحة الراكب، فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته، ترك الطريق العام الى طريق فرعية وعرة للتملّص من القتال، حتى وصل بقواته الى (الحديبية) ، وبقي هناك مصرا على (مقصده) هذا، فأفسح المجال للمفاوضات. وعندما هاجم قسم من المشركين معسكر قواته وألقى المسلمون القبض على المهاجمين، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى.

وبقي مصرا على (مقصده) في عدم محاربة قريش، وفي إظهار نياته السلمية، حتى تمّ له عقد صلح الحديبية، على الرغم من تذمّر قسم من أصحابه من هذا الصلح.

إن الرسول صلّى الله عليه وسلم كان (يختار مقصده) بدقة تامة ولا ينساه أبدا في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية.

ثانياً : التعرّض[1] :

يمكن اعتبار كل غزوات الرسول صلّى الله عليه وسلم تعرضية ما عدا غزوتي (أحد) و (الخندق) ، إذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين.

لقد استطاع الرسول صلّى الله عليه وسلم بشتى الأساليب الحصول على المعلومات عن

[1] التعرض: هو الهجوم على العدو لسحقه، ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده.

نيات أعدائه قبل وقت مناسب، وبذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه ويقضي على نياتهم العدوانية.

إن التعرض ليس معناه التحرّش، بل معناه: الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد، لأن الدفاع وحده لا يؤدي الى النصر الحقيقي بل الى نصر موضعي فقط في حالة نجاحه، أما التعرض فيؤدي في حالة نجاحه الى النصر.

ومن المهم أن نذكر هنا، أن مبدأ (التعرض) التي طبقه الرسول صلّى الله عليه وسلم، كان دفاعا عن الإسلام، وحماية للدين الحنيف، وحرصا على حرية نشره، ولغرض إقرار السلام، وبذلك طبق المبدأ التعبوي القائل: إن التعرض هو أفضل وسيلة للدفاع.

ثالثا : المباغتة[1] :

المباغتة هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له، والكتمان من أهم الوسائل المهمة التي تؤدي للمباغتة.

إن الكتمان يتم إما بإخفاء استعداداتنا أو بإخفاء نياتنا، أو باستعمال أسلحة جديدة أو باستعمال الأسلحة الموجودة بطريقة جديدة.

والمباغتة إما أن تكون في المكان أو في الزمان أو في الأسلوب، ولقد طبّق الرسول صلّى الله عليه وسلم مبدأ (المباغتة) بكل هذه الحالات، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغتة.

[1] المباغتة: المباغتة أقوى العوامل وأبعدها أثرا في الحرب، وتأثيرها المعنوى عظيم جدا، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم. وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغتة: ١) بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية. ٢) بالتنقل السريع للقطعات من نقطة الى أخرى تمهيدا لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو. ٣) باستخدام الأرض الوعرة أو الصعبة أو بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور. ٤) باستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعبوية جديدة.

كانت المدينة هي (القاعدة الأمينة) للمسلمين، ولكنها كانت تعج ب (الرتل الخامس)[1] «٢» الذين لا يريدون خير المسلمين، ويعملون على إحباط جهودهم بشتى الطرق والأساليب.

من هؤلاء (الرتل الخامس) يهود والمنافقون وعيون قريش من الأعراب وعيون الروم من الأنباط، وكان كل هؤلاء ينقلون أخبار المسلمين الى أعدائهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

ولكنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم حرص على كتمان نياته حرصا شديدا، فكان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، فينقل (الرتل الخامس) تلك المعلومات الخاطئة الى أعدائه، مما يؤدي الى بلبلة أفكار أعداء المسلمين.

ومن أمثلة الكتمان الشديد، تلك (الرسالة المكتومة) التي أرسل بها مع عبد الله بن جحش.

لقد أمر الرسول صلّى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ألّا يفتح تلك الرسالة إلا عند وصوله موضع (نخلة) بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وفهم مضمونها مضى في تنفيذها؛ وبهذه الطريقة لم يستطع أحد من أهل المدينة على اختلاف أهوائهم وميولهم، أن يعرف نيات الرسول صلّى الله عليه وسلم ولا واجب سرية عبد الله وهدفها. وقد أخفى نياته في غزوة الفتح حتى عن أهله الأقربين وصديقه الحميم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلم وهي تهيىء جهاز الرسول صلّى الله عليه وسلم، فقال لها: (أي بنيّة! أأمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن تجهّزوه) ؟ قالت: (نعم، فتجهّز) . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (فأين ترينه يريد) ؟ قالت: (والله لا أدري).

[1] الرتل الخامس: كناية عن الجواسيس والوكلاء والعيون والأرصاد.

بهذا الكتمان الشديد، استطاع الرسول صلّى الله عليه وسلم أن يحرّك جيشا كبيرا قوامه عشرة آلاف مسلم لفتح مكة دون أن تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نياته حتى وصل الجيش الى ضواحي مكة، فاضطرت قريش على الاستسلام. ومن أمثلة المباغتة في المكان غروة بني لحيان، فقد تحرّك الرسول صلّى الله عليه وسلم بقواته شمالا باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي، فلما انتشرت أخبار حركة المسلمين الى الشمال، عاد الرسول صلّى الله عليه وسلم بقواته فجأة باتجاه بني لحيان، وبذلك باغتهم في المكان.

وفي غزوة (خيبر) تحرّك الرسول صلّى الله عليه وسلم إلى (الرجيع) قريبا من ديار غطفان، وبعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان، عاد بقواته الرئيسة الى خيبر، وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين.

ومن أمثلة المباغتة في الزمان غزوة بني قريظة، إذ تحرّك الرسول صلّى الله عليه وسلم إليهم في وقت لا يتوقعونه، فشلّ معنوياتهم واحتفظ هو بالمبادأة حتى نهاية المعركة. كما أن مسير الاقتراب الذي أجراه الرسول صلّى الله عليه وسلم في غزوة خيبر بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خيبر ليلا وأكمل تطويقها في نفس الليلة دون أن يستطيع يهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم، وهذا المسير يعتبر مباغتة في الزمان. ومن أمثلة المباغتة في الأسلوب، قتال الرسول صلّى الله عليه وسلم بأسلوب (الصف) في غزوة (بدر) الكبرى تجاه قريش التي قاتلته بأسلوب (الكرّ والفرّ) ، ومن الطبيعي أنّ أسلوب (الصف) له الأرجحيّة على أسلوب (الكر والفرّ) من الناحية العسكرية. كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان مباغتة في الأسلوب أيضا، لأنّ العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار.

وقد استخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف، وهذا مباغتة في الأسلوب أيضا.

إن القائد العبقري هو الذي يطبّق مبدأ المباغتة في معاركه، والرسول صلّى الله عليه وسلم قد طبّق هذا المبدأ في كل معاركه، مما كان له أعظم الأثر على نتائجها الحاسمة.

رابعاً : حشد القوة[1] :

منذ نزل الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فأصبح رسول الله، وهو يعمل جاهدا، في سبيل نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وانتشار الدعوة معناه ازدياد قوة المسلمين وإكمال حشدهم لاستخدام قواهم في المكان والزمان المناسبين.

وهجرته الى المدينة من الناحية العسكرية، معناها حشد المسلمين في منطقة واحدة ليكونوا تحت قيادة واحدة.

و لم يبدأ الجهاد في الإسلام، إلا بعد إنجاز حشد المسلمين، إذ أصبح المسلمون بدرجة من القوة يستطيعون معها الدفاع عن الاسلام.

لقد رأينا في بيعة (العقبة الثانية) كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعة، وكيف أظهر الأنصار في حينه عدم اكتراثهم بخطر انكشاف بيعتهم.

قال سعد بن عبادة: (يا رسول الله، والله الذي بعثك بالحق إن شئت، لنحملنّ على أهل (منى) غدا بأسيافنا) ولكنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم كان أبعد نظرا وأعمق من أن تؤثر فيه العاطفة، فقال له: (لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكم) ... فلما أنجز الرسول صلّى الله عليه وسلم كل استعدادات حشد المسلمين في المدينة، وعاهد أهلها من يهود والمشركين، بدأ القتال (فعلا) ، لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين المادية والمعنوية قادرة على حماية الدعوة وصيانة حرية الرأي.

[1] حشد القوة: هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين.

إنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم طبّق مبدأ (الحشد) في كل غزواته، ولم يتردّد أبدا في حشد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها.

خامساً : الاقتصاد بالمجهود [1]:

راعى الرسول صلّى الله عليه وسلم مبدأ (الاقتصاد بالمجهود) في كل غزواته، ولم يندب قوة لواجب ما إلّا وهي كافية لذلك الواجب من كل الوجوه.

إنّ نظرة بسيطة إلى الملحق (ن) ومقارنة قوات المسلمين بقوات أعدائهم، تظهر بوضوح مقدار حرص الرسول صلّى الله عليه وسلم على تطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوة.

سادساً : الأمن [2]:

لقد أمّن الرسول صلّى الله عليه وسلم حماية قواته في كل غزواته، وبذل غاية جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات، وبذلك طبق مبدأ الأمن.

إنّ دوريات الاستطلاع والطلائع والساقات التي كان يؤمّنها الرسول صلّى الله عليه وسلم في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته، كان لغرض حماية قواته من مباغتة العدو لها.

كما أنّ تأمين الحراسات والعسس هو لحماية قواته أيضا من مباغتة العدو لها. وكما حرص الرسول صلّى الله عليه وسلم على الحصول على المعلومات من أعدائه بشتى الوسائل كما رأينا سابقا، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل أيضا...

[1] الاقتصاد بالمجهود: هو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة. إن الاقتصاد بالمجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على حشد القوى المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين.

[2] الأمن: هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ومنع العدو من الحصول على المعلومات.

لقد طبّق مبدأ الكتمان في كل أعماله، وحثّ المسلمين على حفظ الأسرار وعدم إباحتها، وأمر أن يسارع المسلمون بإخباره عن كل حادث مهم.

والحق أن المتتبع لحياة الرسول صلّى الله عليه وسلم يعجب أشد الإعجاب بمعرفته فورا بكل المعلومات التي تهمه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين.

كيف عرف برسالة حاطب بن أبي بلتعة تلك الرسالة التي حاول أن يخبر بها قريشا عن حركة المسلمين لفتح مكة؟

كيف عرف بإزماع أبي سفيان بن حرب القدوم الى المدينة لتمديد فترة الهدنة؟

كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات يهود وقضى عليها؟

كيف أحبط كل هذه المؤامرات ومنع افتضاح نيات المسلمين؟

كل ذلك يدل على حرصه الشديد على كتمان نيات المسلمين، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن أهداف ومقاصد حركات المسلمين.

سابعاً : المرونة [1]:

كانت قوات المسلمين تتحرك الى أهدافها بكفاية وسرعة.

ولقد استطاعت قوات المسلمين أن تصل الى أهدافها في الوقت المناسب، فتقوم بإحباط نيات العدو العدوانية، قبل أن يكمل العدو استعداداته التي تساعده على النجاح.

وصلت قوات المسلمين الى (دومة الجندل) ، وإلى (تبوك) ، وإلى ربوع فلسطين وإلى الطائف، وكل هذه الأماكن بعيدة عن قاعدة المسلمين- المدينة، وقد قطعت أكثر هذه

[1] المرونة: إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ: (قابلية الحركة) ، أصبح يسمى الآن مبدأ: (المرونة) ، ذلك لأن (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيرا صحيحا إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو. إن (المرونة) تعني أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرن الفكر وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته وأن تكون خططه بشكل يمكنه من أن يعدل سريعا حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة وغير المتوقعة.

المسافات ليلا، وفي ظروف قاسية من ناحية المشاكل الإدارية والطقس، كما استطاع المسلمون أن يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابعة عند عودتهم من غزوة بني المصطلق.

وقد رأيت كيف كان الرسول صلّى الله عليه وسلم مرنا في وضع خططه وفي تنفيذها وكيف أنه يعدّل تلك الخطط عند الحاجة حسب الظروف الراهنة.

كل ذلك يدلّ على تطبيق الرسول صلّى الله عليه وسلم مبدأ (المرونة) وتحريك قواته بسرعة لا تقلّ سرعة وإتقانا عن أقوى جيش حديث في هذا العصر، لأن المسيرات الليلية وقطع المسافات الطويلة والاستمرار في المسير ثلاثين ساعة كاملة دون استراحة يدل على تدريب راق وكفاية متميزة.

ثامناً : التعاون [1]:

لقد رأينا كيف تعاون الرماة مع السيّافة والرمّاحة في غزوة (بدر) الكبرى، فقد نضح الرماة المشركين بنبالهم وأوقعوا فيهم خسائر فادحة سهّلت مهمة هجوم السيافة والرماحة للقضاء نهائيا على مقاومة قريش.

كما رأينا تعاون الفرسان مع المشاة في الغزوات الأخرى.

لقد أمّن الرسول صلّى الله عليه وسلم مبدأ: (التعاون) في غزواته كلها، وذلك بإعطاء كل سلاح [2] واجبا يناسبه، كما أن تعاون (الصفوف) فيما بينها تمّ في الوقت والمكان الملائمين، وبذلك أمّن تسهيل مهمة الجميع للوصول الى النجاح المطلوب.

---

[1] التعاون: هو توحيد جهود كل الأسلحة والقطعات العسكرية لبلوغ الغرض المنشود، وهو النصر في الحرب.

[2] السلاح: هو الصنف الذي كان يستعمل في قسم من الجيوش العربية سابقا، فيقال: صنف المشاة، وصنف المدفعية ... الخ. وبعد توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية من لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية الذي بدأت عملها في القاهرة من يوم ٣٠/ ٥/ ١٩٦٨، أصبح يستعمل تعبير: سلاح، بدلا عن: صنف، فيقال: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية ... الخ.

كما أمّن تعاون المسلمين من مختلف القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة العربية من قبل: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً ...)

تاسعاً : إدامة المعنويات :

يمكن تعريف المعنويات: بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرّب عن العصابات: بها تظهر الطاعة القائمة على الحب، وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعا باسلا صبورا.

ولست بحاجة الى التحدث عن طاعة جنود رسول الله صلّى الله عليه وسلم له، تلك الطاعة القائمة على الحب المتبادل والثقة المتبادلة، ولا عن شجاعتهم وجلدهم في القتال وصبرهم على تحمّل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل والانهزام.

حسبي أن أذكّر فقط بقصة الحدثين الصغيرين اللذين قتلا أبا جهل في معركة (بدر) الكبرى والتي رواها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحسبي أن أذكّر أيضا بقصة نسيبة الخزرجية (أم عمارة) في معركة (أحد) ، وهاتان القصتان معروفتان ورد ذكرهما في محلهما من هذا الكتاب.

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحداث من المسلمين والنساء من المسلمات بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟

إن مما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصورة خاصة والشعب بصورة عامة، وقد كانت أهداف المسلمين جميعا حينذاك هي إعلاء كلمة الله والعمل على حرية نشر الدعوة الإسلامية بدون تدخّل أحد ونشر لواء العدل والسلام بين الناس كافة، تلك الأهداف التي آمن بها المسلمون إيمانا عميقا وجاهدوا في سبيلها بكل ما يمتلكونه من غال ورخيص.

كما أن صفات القيادة الحقة هي التي تخلق المعنويات وتديمها، فإذا كانت الأمة محظوظة تهيأ لها قائد عظيم حكيم شجاع يبعث الثقة الحقيقية في الأمة.

ولست أعرف قائدا لأمة قديما أو حديثا امتلك صفات القيادة الحقة كما امتلكها الرسول صلّى الله عليه وسلم، إذ كان في صفاته ومزاياه رجلا يعادل أمة أو هو أمة تعادل رجلا كما يقولون.

فلا عجب أن يتحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم، وعندما أصبحوا أقوياء يسيطرون على شبه الجزيرة العربية كلها دون منازع.

عاشراً : الأمور الإدارية :

مهما تكن خطة العمليات دقيقة مرنة معقولة، فلا تؤتي ثمراتها المتوقعة إذا تعذر تنفيذها من الوجهة الإدارية، بل يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك بالقول: إن كل خطة مرهونة بإمكاناتها الإدارية.

لقد اهتم الرسول صلّى الله عليه وسلم بالأمور الإدارية كثيرا في معاركه، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح.

قرن الإسلام دائما الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ) ... (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) ... (وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) ... (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) ... (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً) .

المطلب الثاني : تطبيقها في الفتوحات الإسلامية (اليرموك – القادسية).[1]

أولاً : تطبيق بعض مبادئ الحرب في معركة اليرموك :

كانت معركة اليرموك عام ٦٣٤م، بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، والروم، آخر أعمال الخليفة أبي بكر الصديق، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية. وقد طبق خالد في المعركة مبادئ الحرب الآتية:

أ. الحشد :

حشد المسلمون أربعين ألف مقاتل، بتجميع قوات العراق بقيادة خالد بن الوليد، وقوات فلسطين بقيادة عمرو بن العاص، وعلى رغم ذلك كانت مقارنة القوات ١:٥ لصالح الروم.

ب. خفة الحركة والقدرة على المناورة :

تميزت الجيوش الإسلامية بخفة الحركة والقدرة علي المناورة، فقد قام خالد بن الوليد بمناورة بقوات العراق للانضمام إلي الجيوش الإسلامية في الشام، وبمجرد توليه القيادة في الشام، قرر الاستيلاء علي مدينة بصرى، ثم قدر موقفة تجاه جيوش العدو، وقرر القضاء عليها وبالتعاون مع فرقة عمرو بن العاص في فلسطين، اشتبك مع جيش الروم الأول (مائة ألف مقاتل) وانتصر عليه في موقعة أجنادين، ثم عاد ليواجه جيش الروم الثاني في اليرموك وفي إثناء المعركة قام بعدة هجمات مضادة بالفرسان، ثم أخيراً الهجوم المضاد العام، الذي انتزع به النصر.

ج. المبادأة :

بمجرد تولى خالد بن الوليد جيوش المسلمين، قرر الاستيلاء علي مدينه بصرى، ثم قرر مهاجمة الجيش الأول للروم في فلسطين، وانتصر عليه في موقعة أجنادين لاعتناقه لمبدأ المبادأة.

[1] نظراً لضيق الوقت فإنني أسوق هذا المبحث تتميماً لفائدة البحث نقلاً **موسوعة مقاتل من الصحراء**، لأهميته.

د. الأمن :

أمن خالد الأجناب والثغرات بين القلب والميمنة والميسرة، بأن أمر أن يكون الارتداد في إثناء ضغط العدو علي الميمنة والميسرة، في اتجاه القلب وليس للخلف، حتى لا تكون هناك ثغرة يستغلها العدو لتطويق القلب، كما وضع احتياطياً من الفرسان، خلف الفاصل بين الميمنة والميسرة والقلب؛ لقفل الثغرات والقيام بالهجمات المضادة

هـــ. المفاجأة :

١. تم تحقيقها في موقعه أجنادين، حيث قام عمرو بن العاص بالاشتباك مع الجيش الأول للروم، ثم ظهر فجأة خالد بن الوليد بالقوة الرئيسية لجيوش المسلمين، وهاجم العدو وانتصر عليه.

٢. في معركة اليرموك حقق خالد المفاجأة باستخدام تنظيم جديد يطبق لأول مرة في جيوش المسلمين وذلك بتنظيمها في فرق وكراديس.

و. التعاون :

١. وضح تنظيم التعاون في أثناء ارتداد ميمنة المسلمين، تحت ضغط العدو والتحامها مع القلب، والقيام بالهجوم المضاد بالفرسان والميمنة على ميسرة الروم وردها للخلف.

٢. وضح التعاون أيضاً، من خلال الهجوم العام بالقلب والمسيرة مع تثبيت الميمنة لتكون قاعدة ارتكاز.

ز. الروح المعنوية :

١. الروح المعنوية العالية المبينة علي عقيدة دينية صحيحة، جعلت جنود المسلمين يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة.

٢. كانت انتصارات المسلمين المتوالية في العراق وفي موقعة أجنادين عاملاً في رفع الروح المعنوية للمسلمين.

٣. قيام قادة المسلمين بالمرور على الجنود وتشجيعهم قبل المعركة وتلاوة القرآن الكريم، مما يشعرهم بالاطمئنان على النصر والثقة في الله والنفس والقادة ورفع الروح المعنوية.

ثانياً : تطبيق بعض مبادئ الحرب في معركة القادسية:

كانت معركة القادسية (٦٣٦م) مفتاح بلاد الفرس والشرق الإسلامي كله، أمام الجيوش الإسلامية، ولقد طبقت في معركة القادسية مبادئ الحرب الآتية:

أ. الحشد :

تحقق ذلك بحشد ٣٢ ألف مقاتل منظمين جيداً، وكذلك حشد القوة الرئيسية في اتجاه الضربة الرئيسية في قلب الجيش الفارسي، وكذلك حشد القوة الرئيسية لجيش المسلمين في اتجاه المدائن.

ب. المفاجأة :

تحققت باختيار المسلمين لأرض المعركة بدقة، وجذب العدو إليها، وكذلك باستنباط أساليب جديدة للتعامل مع الأفيال – قوة الردع الفارسي –، وإخراجها من المعركة.

ج. المبادأة :

١. حقق المسلمون المبادأة باستدراج الجيش الفارسي، بالإغارات، إلى أرض المعركة، التي اختاروها.

٢. انتزع المسلمون المبادأة في نهاية المعركة، بتوجيه الضربة الرئيسية في اتجاه القلب الفارسي.

د. خفة الحركة والقدرة على المناورة :

١. ظهرت في المناورة بقوات خالد بن الوليد من الشام إلى القادسية؛ لينضم في أثناء إدارة المعركة، في التوقيت المناسب.

٢. وظهرت في المطاردة الكبيرة لجيش الفرس في اتجاه المدائن، والاستيلاء عليها بعد القضاء على جيش الفرس.

هـ. التعاون :

١. ظهر ذلك بوضوح، عند انضمام جيش خالد بن الوليد من الشام في أثناء إدارة المعركة، واشتراكه في المعركة مع جيش المسلمين ضد الجيش الفارسي، دون ارتباك في السيطرة.

٢. ظهر التنظيم الجيد للتعاون، عند بداية مطاردة قوات الفرس في اتجاه المدائن عاصمة الفرس.

و. الهدف :

تم تحديد الهدف السياسي العسكري للجيوش الإسلامية؛ ليكون إبلاغ رسالة الإسلام؛ و"هزيمة الجيش الفارسي"، زيادة الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية وتأمين حدودها.

ز. التأمين الشامل :

١. التأمين بالمعلومات بتجميع المعلومات عن الجيش الفارسي، ومتابعة تحركاته بصفة دائمة.

٢. التأمين الإداري، عن طريق إرسال الإمدادات من المدينة، أو الحصول على باقي الاحتياجات بالإغارات المستمرة على العدو.